من تراثنا العلمي

تعبير الرؤيا لابن قتيبة

وصف وتلخيص لنسخة ثمينة من كتاب مفقود

للأستاذ على الطنطاوى

يزاول ابن قتيبة فى هذا الكتاب بأسلوبه المتين ، وطريقته السوية ، بحثاً هو اليوم جديد فى اللغات الأوربية ، لم يكد يعرفه أصحابها قبل فرويد النمساوى وأصحابه : يونج السويسرى ، وادلر الألمانى ، وبودوان الفرنسى ، ورفرز الانجليزى ، وهو يتفق وهؤلاء الباحثين فى كثير من مسائل هذا البحث ، وإنما يختلف عنهم فى أنه استمد من معين النبوة ، فأصاب كبد الحقيقة ، وتمكن من سواء الثغرة . واتكلوا على ظنونهم ، فخاموا حول الورد ، وصدروا من غير رى !

والكتاب كما سترى فى وصفه من الكتب الجليلة التى نرجو أن يتيح الله لها ناشراً ، وهذه النسخة التى نصفها من مخطوطات (المكتبة العربية) العامرة (بدمشق)

أما تعبير الرؤيا فقد ثبت فى الدين ، ونطقت به السنة ، وتواترت به الأخبار : أخرج البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب ، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة »

وأخرج البخارى ومسلم والترمذى عن سَمُرةَ بن جُندب ، انه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن الآخرون السابقون ، وبينا أنا نائم إذ أوتيت خزائن الأرض ، فوضع فى يدىّ سواران من ذهب ، فكبرا علىّ وأهماني ، فأوحى إلىّ أن انفخهما ، فنفختهما فطارا . فأوّلتهما الكذابين اللذين أنا بينهما : صاحب صنعاء (أى الأسود) وصاحب اليمامة (أى مسيلمة)

والأخبار فى ذلك مستفيضة .

وأما ابن قتيبة ، فهو الامام العَلَم . صاحب التصانيف الجليلة : أدب الكاتب ، وعيون الأخبار ، وطبقات الشعراء ، والميسر والقداح ، والمعارف [1] وغيرها . . .

قال فيه شيخ الاسلام ابن تيمية فى تفسير سورة الاخلاص « هو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة » وقال الحافظ السيوطى فى البغية : « كان ابن قتيبة رأساً فى العربية واللغة والأخبار وأيام الناس ، ثقة ديّناً فاضلاً » وقال القاضى ابن خلكان : « وكان فاضلاً ثقة وتصانيفه كلها مفيدة » وقال الخطيب البغدادى : « كان ثقة ديناً فاضلاً » وقال الحافظ الذهبى : « ما علمت أحداً اتهمه فى نقله » وقال ابن النديم : « كان صادقاً فيما يرويه ، عالماً باللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه ، والشعر والفقه ، كثير التصنيف والتأليف ، توفى ابن قتيبة سنة (٢٧٦) وله (٦٣) سنة

أما كتابه تعبير الرؤيا فقد ذكره ابن النديم فى الفهرست فى باب الكتب المؤلفة فى تعبير الرؤيا ، وسماه تعبير الرؤيا . وذكره أبو الطيب اللغوى فى كتابه (مراتب النحويين) [2] كما نقل الأستاذ محب الدين الخطيب فى مقدمة (الميسر والقداح)

وذكره فى كتاب (فهرست ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنّفة فى ضروب العلم وأنواع المعارف الشيخ أبو بكر بن خير ابن عمر بن خليفة الأموى الأشبيلى (طبع سرقسطة سنة ١٨٩٣) باسم (عبارة الرؤيا) قال :

كتاب عبارة الرؤيا لابن قتيبة ؛ حدثنى به أبو بكر محمد بن أحمد بن طاهر رحمه الله ، عن أبى على الغسانى ، قال : حدثنى به أبو العاصى حكم بن محمد الجذامى ، عن أبى بكر أحمد بن محمد ابن اسماعيل المهندس . عن أحمد بن مروان المالكى عن ابن قتيبة

ثم ذكر لروايته طريقاً أخرى ، والنسخة التى نصفها مروية من طريق أقصر وتلتقى برواية أبى بكر هذا عند أحمد بن مروان المالكى ، وهذا مما يثبت صحة نسبة هـــذه النسخة لابن قتيبة رحمه الله

---

(١) ذكر الأستاذ المحقق محب الدين الخطيب فى مقدمة (الميسر والقداح) أن فى الخزانة الظاهرية كتاباً باسم تاريخ ابن قتيبة (تحت رقم ٨٠ تاريخ) وأن صاحب كشف الظنون أشار إليه ، وتابعته فى ذلك دار الكتب فى مقدمة (عيون الأخبار) وقد أخبرنى صديق الشاعر الأديب السيد أحمد عبيد ، أن الكتاب الذى فى الخزانة الظاهرية هو كتاب (المعارف) ذاته

(٢) قال : وهو من نفائس مخطوطات الخزانة التيمورية وهو فيها (تحت رقم ١٤٢٥) تاريخ)

وقال الزمخشرى فى (الفائق) فى مادة (جنه) وهو يفسر بيت الفرزدق [1]

فى كفّه جَنَهِىٌّ ريحهُ عَبِقٌ
من كفّ أروعَ فى عرنينه شَمَمُ

قال القتبى (يعنى ابن قتيبة) الجنهى ، الخيزران . ومعرفتى بهذه الكلمة عجيبة ، وذلك أن رجلاً من أصحاب الغريب سألنى عنه (الجنهى) فلم أعرفه . فلما أخذت من الليل مضجعى أتانى آت فى المنام ، فقالى لى : ألا أخبرته عن الجنهى ؟ قلت : لم أعرفه قال : هو الخيزُران ! فسألته شاهداً ، فقال : « هدية طرفتّه ، فى طبق مجنّه » فهببت وأنا أكثر التعجب ، فلم ألبث إلا يسيراً ، حتى سمعت من ينشد : فى كفّه جنهى .... وكنت أعرفه : فى كفّه خيزران . .

قال فى (تاج العروس) فى تفسير الجنهى :

هو الخيزران رواه الجوهرى ، عن القتبى قال (يعنى ابن قتيبة) وسمعت من ينشد : فى كفه جنهى . . .

والقصة التى رواها الزمخشرى مروية فى الورقة الخامسة عشرة من المخطوط الذى نصفه ، وهذا مما يثبت صحة نسبته إلى ابن قتيبة ، ومما يثبت هذه النسبة أسلوب الكتاب ، فانه لا يكاد يختلف عن الأسلوب الذى نعرفه لابن قتيبة ، فى تحقيقه اللغوى وتفسيره الغريب ، وأكثاره من الشواهد

أما هذه النسخة فتقع فى (١٣٤) صفحة من القطع الصغير فى كل صفحة (١٥) سطراً ، وهى مكتوبة بخط نسخى جميل ، على ورق صقيل ، ويزيد عمرها على (٥٠٠) سنة

فى الصفحة الأولى منها ، اسم الكتاب :

كتاب عبارة الرؤيا تصنيف أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينورى رضى الله عنه

وفيها كتابات أخرى ، أكثرها ممحوّ :

من مواهب ذى الكرم على عبده رجب الأعلم اشتريته

من سى يحيى الذهبى وقيل فى المعانى :

ونكس الرأس أهل الكيميا خجلاً
وقطروا أدمعاً من بعد ماسهروا
إن طالعوا كتبه بالدرس بينهم
صاروا ملوكاً وان هم جربوا افتقروا
تعلقوا بحبال الشمس من طمع
فى منهم قد غرّه القمر

ونو ــ الشمسى خادم ــ الفقير ــ لسنة ١٢٠٩ ــ من شهر ذى الحجة من تركة الشيخ عمر بن عبد الهادى رحمه الله

وفى الصفحة الأخيرة ، هذه العبارة مكتوبة بخط الناسخ :

« آخر كتاب تعبير الرؤيا لابن قتيبة رضى الله عنه ، قابلناها على نسخة الأصل بقدر الامكان :

الحمد لله ربّ العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، أما بعد فقد وقع الفراغ من كتابة هذه النسخة الشريفة الموسومة بكتاب عبارة الرؤيا على يد العبد الضعيف النحيف الراجى إلى رحمة الله البارى يحيى بن محمد البخارى فى عشرين من ذى القعدة سنة خمس وأربعين وثمانمائة بدمشق المحروسة صانها الله تعالى عن الآفات والنكبات ، اللهم اغفر لكاتبه ولمن نظر فيه آمين يارب العالمين »

وفيها أسماء بعض المالكين :

دخل هذا الكتاب فى نوبة العبد الفقير رجب الأعلم المجاور بمدرسة العمرية عفى عنه آمين

الحمد لله مالكه من فضل ربه الهادى ، الشيخ عبد الرزاق الهادى غفر الله له آمين ، كتبه الفقير ابنه محمد

ساقها الرب الهادى ، إلى محمد الهادى

والنسخة مشكولة ولكنه شكل لا يعتد به ، وليس فى هوامشها تعليقات تذكر.

* * *

رواية الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين

كتاب تعبير الرؤيا تصنيف أبى محمد عبد الله بن محمد بن مسلم ابن قتيبة

قرأت على الشيخ الصالح أبى الحسن عبد الباقى بن فارس بن أحمد المقرئ المعروف بابن أبى الفتح المصرى ، أخبركم أبو حفص عمر بن محمد بن عراك الحضرمى قراءة عليه ، قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن مروان قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن مسلم بن قتيبة الدينورى ، قال :

مقدمة الكتاب :

الحمد لله الذى رفع منار الحق ، وأوضح سبيل الهدى ، وقطع

(١) المشهور أنه للفرزدق ويقول كثير من المحققين أنه للحزين الليثى الشاعر . راجع الأغانى

عذر الجاحدين ، بما أشهدنا من صنعته الظاهرة ، وآياته الباهرة وأعلامه الدالة عليه ، وآثاره المؤدية إليه . فى كل ماثل للعيون . من فلك دائر ، وكوكب سائر ، وجبال راسيات ، وبحار طاميات ورياح جاريات ، وفُلك فى البحر مسخرات بأمره الخ . . .

(قال) حدثنى محمد بن عبيد ، عن . . عن . . عن أم كرز الكعبية قالت : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : ذهبت النبوة وبقيت المبشرات[1] وحدثنى محمد بن زياد عن . . عن . . عن عروة أنه قال فى قوله الله عز وجل : « لَهُمُ البُشرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا وَفِي الآخِرَةِ » قال : هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له[2]

(قال أبو محمد) وليس فيما يتعاطى الناس من فنون العلم ، ويتمارسون من صنوف الحكم ، شئ هو أغمض وألطف ، وأجل وأشرف ، وأصعب مراداً وأشكالاً ، من الرؤيا ، لأنها جنس من الوحى ، وضرب من النبوة الخ . . . ولأن كل علم يطلب فأصوله لا تختلف ، ومقاييسه لا تتغير ، والطريق إليه قاصد ، والسبب الدال عليه واحد ، خلا التأويل : فان الرؤيا تتغير عن أصولها باختلاف أحوال الناس فى هيئاتهم ، وصناعاتهم وأقدارهم ، وأديانهم ، وهممهم ، وإراداتهم . وباختلاف الأوقات والأزمان فهى مرة مثل مضروب يُعبّر بالمثل والنظير ، ومرة مثل مضروب يعبّر بالضد والخلاف ، ومرة تنصرف عن الرائى لها إلى الشقيق أو النظير أو الرئيس ، ومرة تكون أضغاثاً

ولأن كل عالم بفن من العلوم ، يستغنى بآلة ذلك العلم لعلمه ، خلا عابر الرؤيا : فانه يحتاج إلى أن يكون عالماً بكتاب الله عز وجل وبحديث الرسول صلى الله عليه وسلم . ليتعبّرها فى التأويل . وبأمثال العرب ، والأبيات النادرة ، واشتقاق اللغة ، والألفاظ المبتذلة عند العوام ، وأن يكون مع ذلك أديباً لطيفاً ذكياً ، عارفاً بهيئات الناس وشمائلهم وأقدارهم وأحوالهم ، عالماً بالقياس حافظاً ، ولن تغنى عنه معرفة الأصول ، إلاّ أن يمدّه الله بتوفيق ، يسدّد حكمه للحق ، ولسانه للصواب ، وأن يحضره الله تعالى تسديده ، حتى يكون طيب الطعمة ، نقياً من الفواحش ، طاهراً من الذنوب ، فاذا كان كذلك ، أفرغ الله عليه من التوفيق ذنوباً ، فجعل له من مواريث الأنبياء نصيباً

وسأخبرك عن كيفية الرؤيا ، بالاستدلال على ذلك من كتاب الله والحديث ، إذ كنت لم أجد فيه مقالاً كافياً لأمام متبع ، وأقدم قبل ذلك ذكر النفس والروح ، إذ كنت لاتصل إلى علم كيفيتها إلا بمعرفتهما ، وفرق مابينهما . وعلى الله أتوكل فيما أحاول وأستعين

(إلى أن قال) وقد اختلف الناس فى النفس والروح ، فقال بعضهم ، هما شئ واحد يسمى باسمين ، كما يقال ، إنسان ورجل ، وهما الدم أو متصلان بالدم ، يبطلان بذهابه ، والدليل على ذلك ، أن الميت لا يُفقد من جسمه إلاّ دمه ، واحتجوا لذلك أيضاً من اللغة : بقول العربى : نُفِست المرأة (إذا حاضت) ونَفِست (من النفاس) وبقولهم للمرأة ، عند ولادتها : نُفَساء ، لسيلان النفس وهو الدم . وبقول ابراهيم النخعى : كل شئ ليست له نفس سائلة لاينجس الماء ـ الخ . . .

البقية فى العدد القادم — على الطنطاوى

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة بلفظ : لم يبق بعدى من النبوة الا المبشرات ، قالوا : وما المبشرات ؟ قال : الرؤيا الصالحة .

(٢) قال فى تيسير الوصول فى حديث المبشرات المتقدم : رواه مالك عن عطاء مرسلا وزاد ، الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له

صـــــدر :
الجزء الثانى
من
ضحى الإسلام
لمؤلفه
أحمد أمين
يبحث فى نشأة العلوم فى العصر العباسى الأول
وتاريخ كل علم تفصيلاً
يطلب من لجنة التأليف والترجمة بشارع الكردامى نمرة ٩
وثمنه عشرون قرشاً صاغاً عدا أجرة البريد